The idea of genius in Schopenhauer philosophy

Mohamed Burhan Koshaha•

(Received 8 / 9 / 2019. Accepted 13 / 10 / 2019)

□ ABSTRACT □

The genius of Schopenhauer may be interpreted as a strong tendency towards liberation from the will as the world and the reality of existence, and genius as a faculty is the ability to completely depart from our own interest, our desires ... and is also closely linked to knowledge. The ability of a genius is to capture individual ideas of transcendence through pure meditation in nature and life.

The world and all its phenomena are linked to the ability of a genius to extend his imagination beyond the limits of his existence, so that he can access intellectual spaces, horizons of knowledge, creative concepts and renewed aesthetic pleasure.

Genius is sometimes represented as: a thought in which the perfection of work identifies with the intuitive knowledge of genius, simply revealing that genius is the whole of continuity in the state of pure cognition, and the loss of self in cognition, in conformity with the faculty of will.

Key words; Genius ,Will, Imagination, Insanity.

• **Master of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Damascus University- Syria.**

فكرة العبقرية في فلسفة شوبنهاور

محمد برهان كوشحة•

(تاريخ الإيداع 8 / 9 / 2019. قبل للنشر في 13 / 10 / 2019)

□ ملخّص □

العبقرية عند (شوبنهاور)، قد تُفسّر باعتبارها؛ نزوع قوى نحو التحرر من الارادة بوصفها ماهية العالم وحقيقة الوجود، والعبقرية كملكة إنما هي القدرة على الخروج كلياً عن مصلحتنا الخاصة، رغباتنا... وهي ترتبط أيضاً ارتباطاً وثيقاً بالمعرفة. وبقدرة العبقري القبض على الأفكار المنفردة المتعالية من خلال التأمل النقي الخالص في الطبيعة والحياة.

فالعالم وجميع ظواهره مرتبطة بقدرة العبقري على مد خياله الى أبعد من حدود وجوده، بحيث يتمكّن من الولوج الى فضاءات فكرية وأفاق معرفية ومفاهيم ابداعية متجددة ومتع جمالية.

والعبقريّة تتمثّل أحياناً؛ باعتبارها: فكراً يتماهى فيها كمال العمل مع طاقة المعرفة الحدسية للعبقرية، كاشفةً ببساطة، أنّ العبقرية هي كلية الاستمرار في حالة الإدراك الخالص، وفقدان الذات في الإدراك، تماهياً مع كليّة الإرادة.

الكلمات المفتاحية: عبقرية– إرادة– خيال– جنون.

• **ماجستير فلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق– سورية.**

مقدمة:

في واقع الأمر لا يوجد تعريف علمي دقيق ومحدد للعبقرية والسؤال حول ما إذا كان المفهوم نفسه له أي معنى حقيقي أو دلالة على وجود واقعي، طالما كان موضوعاً للمناقشة.

وبالوقوف على المعنى المعجمي لمصطلح (العبقرية) جاء في قاموس (لالاند) الفلسفي في معنى العبقرية: "آلهة ترعى الولادة، مايأتي من الولادة، ميزة فردية"[1].

وقد اختلف علماء النفس حول التعريف بالعبقرية بالتركيز على الابداع والانجاز، وعادة ربطوا العبقرية بالموهبة لكن العديد من الباحثين مثل لومبيروزو lombroso أخذ بضرورة التميز بين هذه المصطلحات بشكل منهجي. وتبيان أنّ الموهبة أو الانجاز من لوازم التعريف بالعبقرية ودلالتها.

كذلك يعتقد (ديفيد هيوم) أن الطريقة التي ينظر بها المجتمع إلى العبقرية تشبه الطريقة التي ينظر بها المجتمع إلى الجهل، وفي هذا قال: إن الشخص الذي يتمتع بصفات العبقري ينظر إليه باعتباره شخصاً غير متصل بالمجتمع، وكذلك الشخص الذي يعمل عن بعد، بعيداً عن بقية العالم[2].

أما (كانط) فقد فسر العملية الإبداعية للعبقرية؛ بوصفها استمرارية ضرورية وفكر واعي لتمكيننا من إنتاج الفن. كاشفاً أن العبقرية تنتج الفن أولاً عن طريق التفكير بالطبيعة، إذ يُحفّز هذا النمط من التفكير خيال خلاق يسمح بإدراك الافكار الممكنة وعبور تجربة فعلية تمتزج بمهارة فنية تتجسّد من خلالها الأفكار الإبداعيّة في شكل فني شعراً كان أو لحناً أو تصويراً.

وبهذه الطريقة، تعكس العبقرية قدرتها في أشياء فعلية أو متخيلة، قد تسمح للشخص العادي، أن يدرك الأفكار بسهولة سلاسة.

أمّا (شوبنهاور) فقد جعل فلسفته حول العبقرية والجمال قائمة على الميتافيزيقيا، ولذلك نجده، يؤكد باستمرار: أنّ جمالياته، ما هي إلا، طريقة متفوقة نحو اكتساب الحقيقة مقارنة بالعلم، حيث يشير إلى الأولى بالنواة، والأخيرة إلى القشرة. ويصف (فوستر) تشبيه (شوبنهاور) هذا، بأنّه كان للدلالة على الفرق بين الميتافيزيقا والمظهر على التوالي، حيث يعتقد أن فلسفته تهتم بنواة الطبيعة، في حين إن العلم فمشغول بتحليل قشور الطبيعة [3]

وفي مؤلفه المشهور (العالم إرادة وتمثلاً) يرى شبنهاور: أن العبقرية تتمثل في القدرة على المعرفة بشكل مستقل عم مبادئ العقل الكافي [4]، والقدرة على المعرفة الحدسية التي ينفذ العبقري من خلالها إلى أعماق الأشياء فيتماهى معها على نحو يصبح هو وإياها شيئاً واحداً، بحيث تتبدى دلالات ذلك على وجه الخصوص في مختلف أشكال الخلق والإبداع الجمالي والفني.

[1] لالاند،أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت/باريس، المجلد الثالث، ط2، 2001،ص464.

[1] https://en.wikipedia.org/wiki/Arthur_Schopenhauer

1 Harries, Karsten, Schopenhauer's The World as Will and Representation FallSemester , Yale University,2014.p.154.

2 Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation, trans. E. F. J. Payne. New York, 1966.p.377.

وتطرح فكرة العبقريّة عند (شوبنهاور) جملة من الأسئلة حول مفهوم العبقري، ومن هي الشخصية العبقرية؟ وهل للعبقرية وجود في ميدان الفعل أم أن وجودها يقتصر على ميدان التأمل والمعرفة؟ وهل هناك من ارتباط بين العبقرية والاضطرابات العقلية والغرابة في التفكير على نحو ما يشاع عن عباقرة شهدتهم الإنساني

المناقشة:

1) مفهوم العبقري عند شوبنهاور:

يرى فردريك نيتشه Nietzsche في شوبنهاور، أنه أفضل المربّين على الإطلاق. فهو يمتلك الشروط التي ينبغي توافرها ليظهر العبقري في عصرنا: شخصية رجولية حرة، معرفة مبكرة عن الإنسانية، بلا تربية علمية، وحر في كسب لقمة العيش. باختصار: هو الجو نفسه الذي نشأ فيه فلاسفة اليونان.

لكنه يرى أن العثور على مثل هؤلاء المربّين الأخلاقيين أمر صعب جداً: "فأين هم الأطباء الأقوياء والصامدون بكفاية، بحيث تكون لديهم القدرات لمساعدة الآخرين وإرشادهم إلى الطريق؟ ثمة كآبة وخمول خاصين تنتابان أفضل شخصيات عصرنا".[1]

أمّا بحسب تعابير شوبنهاور: فالعبقري هو الشخص الذي يُظهر قدرة فكرية استثنائية، إنتاجية خلاقة كلية في الأنواع أو الأصالة، ودرجة ترتبط بتحقيق تقدم جديد في مجال المعرفة.

وفي غالب الأحيان، فإننا: عندما نقول "عبقري"، فكثيراً ما نفكر في شخص لامع في مجال معيّن، ومع ذلك، كان ليوناردو دافينشي، بمستواه العالي من المهارة والإنجاز، لامعاً في العديد من المجالات، لقد كان عبقريًا أيضاً. ونحن إذا كنّا نقرن اسمه بلوحة (الموناليزا)، إلا أنه كان ماهرًا بشكل ملحوظ في الهندسة المعمارية، والرياضيات، والهندسة، والنحت، والموسيقى، والتشريح، والجيولوجيا، ورسم الخرائط، وعلم النبات، والكتابة. إنّ اتساع معرفته يؤهله ليوصف بأنه: عبقري–إنه مذهل!.

وهذا مؤدّاه، أنّه: لا يوجد تعريف علمي دقيق ومحدد للعبقرية، لكنّ الفلاسفة وعلماء النفس يُركزون أثناء محاولاتهم مقاربة هذا المفهوم على الإبداع والإنجاز، كما يربطون العبقرية بالموهبة.

ويعتقد هيوم Hume أنّ الطريقة التي ينظر بها المجتمع إلى العبقرية تشبه الطريقة التي ينظر بها المجتمع إلى الجهل، يقول "هيوم" : إن الشخص الذي يتمتع بصفات العبقري ينظر إليه باعتباره شخصاً غير متصل بالمجتمع، وكذلك الشخص الذي يعمل عن بعد، بعيداً عن بقية العالم[2]

أمّا شوبنهاور فيرى: أنّ جوهر العبقرية يكمن في كمال وطاقة معرفة الإدراك. بالمقابل، فإن الأعمال التي يُمكن وصفها بالمصنفات العبقرية، فهي تلك التي تبدأ من الإدراك مباشرة وتكرس نفسها للإدراك. والفرق بين العبقرية ومجرد المواهب، يتمثّل في أنّ "الشخص الموهوب يفكر بسرعة أكبر وبشكل أكثر دقة من الآخرين؛ لكن العباقرة ينظرون إلى عالم آخر في كليته ، وهم لديهم إدراك أكثر عمقاً للعالم الذي يقع أمامهم أيضاً، من حيث إنه يظهر في عقولهم بشكل أكبر، وبالتالي بنقاوة وتميز أكبر"[3].

[3].Hollingdale, R,J.Cambridge University Press. Taken from The Nietzsche Channel http://www.geocities.com/thenietzschechannel/sae.htm,1984.

[1] https://en.wikipedia.org/wiki/Arthur_Schopenhauer

[2] Haldane, M.A. And J. Kemp, M.A. The World As Will And Idea Containing Supplements to Part of the Second Book and to the Third and Fourth Books Sixth Edition London,2012.p.140.

ففي فلسفة شوبنهاور (العبقري) هو شخص يسيطر لديه العقل على الإرادة بصورة تفوق بدرجات ما هي الحال عند الشخص العادي، لذلك فالعبقري على استعداد دائم للتخلي عن المساعي الأساسية من أجل شيء يهتم به أكثر. وهذا مؤكّد في جماليات شوبنهاور حيث تسمح هيمنة الذكاء على هذه العبقرية لخلق أعمال فنية أو أكاديمية تعد أهدافاً للتأمل الصافي غير المغري بالنسبة للناس العاديين.

ويرى شوبنهاور أن العبقري واحداً من ثلاثة: فيلسوفٌ يُدرك، أو فنان يحسّ، أو قدّيس يفقد ذاته في سبيل هذا الإدراك والإحساس. بينما ينظر إلى الحكمة والعبقرية بأنهما القمتان من المعرفة الإنسانية، اللتان لا يمكن فصلهما عن بعض؛ فالحكمة الفعلية هي شيء بديهي، وليست شيئًا مجردًا. إنها لا تتألف من جمل وأفكار يحملها الشخص في رأسه كنتيجة لأبحاث دخيلة أو شخصية، بل هي الطريقة المثلى التي يتم تمثيل العالم بها في رأسه.

فالعامل الأساسي والحاسم بالنسبة لـ شوبنهاور هو أنه: إذا كانت الموهبة تحقق ما لا يستطيع الآخرون تحقيقه، فإنّ العبقرية تحقق ما لا يمكن للآخرين تخيله. وهذا ما يسمح للعباقرة–دون غيرهم– بتجاوز صغر الأنا ودخول عالم الأفكار اللانهائي.

إن العبقرية، وفق تصوّر شوبنهاور، تضيء كمذنب في مسارات الكواكب في ترتيبها المنظم والواضح، فدورها الغريب الأطوار هو دخيل. وبناءً عليه، لا يمكن أن يسير جنباً إلى جنب مع المسار العادي لثقافة عصر ما، فإذا كانت الموهبة تشبه الرامي الذي يضرب الهدف الذي لا يستطيع الآخرون الوصول إليه؛ فإنّ العبقرية تشبه الرامي الذي يضرب الهدف الذي لا يستطيع الآخرون رؤيته.

ويكمن سرّ العبقرية حسب تعبير شوبنهاور في الإدراك الواضح والمحايد للهدف الأساسي، الآخرون يفكرون في المؤقت، النوعي، الفوري... إن رجل العبقرية لديه تعويضاته ولا يحتاج إلى شركة مثل الناس الذين يعيشون في الاعتماد الدائم على ما هو خارجهم، لكنّ العبقرية تضطر إلى العزلة، وفي بعض الأحيان إلى الجنون[1].

لقد تم الاعتراف بالخيال كعنصر أساسي في العبقرية؛ وقد اعتبرت في بعض الأحيان متطابقة معها؛ فبما أن كائنات العبقرية هي الأفكار الأبدية والأشكال الدائمة والضرورية للعالم وجميع ظواهره، وبما أن معرفة الفكرة هي بالضرورة المعرفة من خلال الإدراك، فإن معرفة العبقرية ستقتصر على أفكار الأشياء الموجودة بالفعل لشخص العبقري، وتعتمد على سلسلة من الظروف التي جلبت هذه الأشياء إليه، إذا لم يمد خياله إلى أبعد من حدود وجوده الشخصي الفعلي، بحيث يتمكّن من بناء كامل للخروج من القليل الذي يأتي عن طريق الإدراك الفعلي الخاص به، وذلك للسماح لجميع المشاهد المحتملة بالمرور في وعيه وخياله، ثم يمتد الأفق الفكري للرجل العبقري خارج هذه الأشياء جميعاً ويتجاوزها؛ لذلك، فإن القوة الخارقة للخيال هي في الواقع شرط ضروري للعبقرية. لكن العكس ليس صحيح دائماً، فقوة الخيال لا تشير بالضرورة إلى العبقرية؛ على العكس من ذلك، الرجال الذين ليس لديهم لمسة من العبقرية قد يكون لديهم الكثير من الخيال[2].

Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation, trans. E. F. J. Payne. New [2] York, 1966.p.385.

[2] بدوي، عبد الرحمن. خلاصة الفكر الأوروبي، شوبنهاور، بيروت، دار القلم، 1942، ص137.

ويقترح شوبنهاور أن الرجل العبقري، هو –من ناحية أخرى–من تحرره قوة مفرطة من المعرفة في بعض الأحيان من خدمة الإرادة، ويسهب في النظر في الحياة نفسها، ويسعى جاهداً لفهم فكرة كل شيء، وليس علاقتها بأشياء أخرى؛ بينما بالنسبة للإنسان العادي، فإن كلية معارفه هي مصباح لإفراز طريقه إلى المعرفة.

ووفقاً لتفسير شوبنهاور، فإن العبقرية تتمثل في القدرة على المعرفة، بشكل مستقل عن مبادئ العقل الكافي، وإلّا لن يكون لدى العباقرة أية حساسية على الإطلاق لبلوغ الأجمل والسامي[1].

وترتبط نظرية شوبنهاور في العبقرية ارتباطاً وثيقاً في نظريته في المعرفة، إذ أنّ العبقري عنده لا يتميز عن سائر الناس إلا بالمعرفة الحدسية التي ينفذ بها إلى أعماق الأشياء بحيث يصبح وإياها شيئاً واحداً" إن ماهية العبقري يجب أن تتألف من الكمال والطاقة في المعرفة الحدسية".[2].

وفي هذا النمط من المعرفة تختفي تلك التفرقة المألوفة بين الذات والموضوع التي تنتمي إلى مبدأ العلة؛ وترتفع بقوة العقل، بحيث نمتنع عن اعتبار الأشياء بالطريقة المبتذلة وفقاً لهذا المبدأ، بل نلتفت بقوة الروح نحو الحدس. وعندما نبلغ هذا الحدس، يمتلئ شعورنا كله بالتأمل الهادئ ونبلغ اللحظة التي نفقد فيها أنفسنا وننسى فرديتنا وإرادتنا، ولا نقوم إلا كذوات خالصة أو نقية، أو كمرآة صافية للشيء الحاضر مطلقاً في حدسنا الخالص، بالصورة التي يستحيل معها التمييز بين الذات والحدس حتى يختلط هذا بذاك في كائن واحد وشعور واحد، فنبلغ إذ ذاك المثال المطلق للمُفكّر به، الشكل الخالد ، والموضوعية المباشرة للإرادة، وبالتالي، لا يكون الشخص الذي بلغ هذه العتبة من التأمل فرداً في هذه الدرجة، وإنما ذات عارفة صرفة، تحررت من الإرادة ومن الألم والزمان، فيصير العبقري هو الشخص الذي يسود العقل على "الإرادة".[3]

2) الشخصية العبقرية

العبقرية–بحسب تصوّر شوبنهاور–هي ليست فقط القدرة على القيام بالجمباز العقلي بسرعة أو بسهولة، وإنّما هي القدرة على حدس معرفة متحرّرة من كل سطوة. ويعتقد شوبنهاور أن عدداً قليلاً جداً من الناس لديهم عبقرية بهذا المعنى فمعظم الناس، كما يقول شوبنهاور، لديهم "أدمغة مصنوعة من جلد"، ويتبعون طريقة التفكير التي تعتمد مبدأ العقل الكافي (السببية) وهي الطريقة العقلانية التقليديّة التي تسود (الوعي اليومي العادي)، وهذه الطريقة قد تكون صالحة ومفيدة في الحياة العملية وفي العلوم. أما العبقرية فهي طريقة في النظر تنأى عن هذا المبدأ، وهي صالحة ومفيدة في الفن وحده.

ويعتقد شوبنهاور أن الطريقة الأولى هي طريقة أرسطو، أما الثانية فقد اعتمدها أفلاطون. الأول "أرسطو" كان مثل العاصفة العظيمة، التي تندفع من دون بداية أو هدف، ومتحركة وتحمل معها كل شيء. في حين كان "أفلاطون" أشبه بأشعة الشمس الساطعة التي تقطع طريق العاصفة، ولا تتأثر بها.

الأول يشبه قطرات لا حصر لها من العنف المتصاعدة من الشلال، وتتغير باستمرار بلا توقّف أو راحة؛ والثاني هو مثل قوس قزح يستريح بصمت على سيل مستعرة، وهو يُحقّق هذا، فقط من خلال التأمل النقي الذي تم وصفه أعلاه، والذي يصبح ممتصًا تمامًا في الكائن، هي الأفكار (جوهريات أفلاطون) التي تم فهمها.

---

[3] **Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation, trans. E. F. J. Payne. New York, 1966.p.382-383.**

[2] **كامل، فؤاد. الفرد في فلسفة شوبنهاور.القاهرة،الهيئة العامة للكتاب،1991،ص61.**

[3] **Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation, trans. E. F. J. Payne. New York, 1966.p384.**

وهذه القدرة على التأمل النقي تُمثّل جوهر الشخصيّة العبقرية، وهي تتطلب النسيان الكامل لشخصنا وعلاقاته وترابطاته، لتغدو العبقرية ليست سوى الموضوع الأكثر اكتمالاً، أي الميل الموضوعي للعقل، بدلاً من الميل الشخصي الموجه إلى شخصنا، وقد تماهى مع كليّة الإرادة الكونية. تبعاً لذلك، فإن العبقرية هي القدرة على البقاء في حالة من الإدراك الصافي، وفقدان الذات في الإدراك، وإزالة المعرفة التي كانت موجودة أصلاً لهذه الخدمة من خدمة الإرادة فقط.

ثم يصف شوبنهاور حالة الشخص العبقري في وضع التأمل الصافي كالآتي: حين تظهر العبقرية في الفرد، يبدو الأمر كما لو أن مقياسًا لقوة المعرفة يجب أن يكون قد انخفض إلى أقصى حد له مما هو مطلوب لخدمة الفرد؛ وأصبح هذا القدر الكبير من المعرفة حرّاً وأصبح كذلك، موضوعاً مطهراً للإرادة ومرآةً واضحة للطبيعة الداخلية للعالِم.

وهذا هو ما يفسر ظهور صورة العباقرة بمظهر عدم الاكتراث، لأنّ الحاضر نادراً ما يرضيهم، لأنه لا يملأ وعيهم. وهذا يمنحهم الطبيعة المتحمسة المضطربة، والبحث المستمر عن أجسام جديدة تستحق التأمل، في حين يمتلئ قلب الإنسان العادي، من ناحية مقابلة، بالرضا المشترك ويستمتع به، ويجد في كل مكان مكاناً له، ولديه تلك الراحة الخاصة والراحة في الحياة اليومية التي حُرمها رجل العبقرية [1]؛ لأنّ العبقرية بطبيعتها تعيش في وحدة هائلة مخيفة قد خيم عليها الصمت ونما في أكنافها السكون.

ولم لا تكون كذلك وقد ندر أن يجد العبقري أشباهه، وما أوسع الشقة بينه وبين الآخرين؟ فليست مسراتهم مسراته، ولا مسراته مسراتهم، وليس في وسعه أن يفكر وإياهم، أو يدخل في أحاديثهم ومناقشاتهم. وهم أيضاً ترهقهم عظمته وامتيازه فلا يستطيعون أن يجدوا في حضوره لذة ولا متعة. وليس أمامه إلا أن يظل في داخل ذاته وحديداً ومسؤوليته الهائلة، صامتاً كالقبر، هادئاً كالموت على حد كبير كيركجيورد[2].

وللعبقرية لوازم لا تنفصل عن أحوال ترتبط بها، وأولها ما لاحظه أرسطو من أن الحزن حليف العبقرية. فالشعر الجميل كقوس قزح لا يرتسم إلا فوق سطح معتم؛ لهذا كان الحزن عنصراً مناسباً كل المناسبة للعبقرية الشعرية، وفقاً لرأي أرسطو.

ويفسر شوبنهاور هذا الحزن بأنه راجع إلى أنه، كلما كان النور الذي يضيء العقل قوياً، كان إدراك العقل لسوء حالته أوضح وأدق. لكنّ العبقرية مع ذلك، لا تظل غارقة دائماً في هذا الحزن المظلم، بل تبدو في فترات، وحولها هالة من النصاعة الناشئة عن التأمل الموضوعي الخاص، تضفي على جبهة العبقري الحالية أجمل نور، فتبدو روحه على حد تعبير برونو" " مسرورة في الحزن، محزونة في السرور". هذا الحزن الذي لربّما يكون مصدره الصفة الثانية الملازمة للعبقرية وهي الشقاء، فالعبقري شقي بالضرورة في الحياة، لأنه يضحي بسعادته الخاصة في سبيل الغاية الموضوعية، وهو لا يستطيع أن يفعل غير ذلك، بينما الآخرون يعملون العكس، ومن هنا كانوا صغاراً، وكان العبقري عظيماٍ، لأن عمله خالد بكل زمان. وغايته نزيهة عن كل مقصد[3]

ويشرح كارترايت أن العبقرية أكثر موضوعية،[4] لأنه من خلال فكر أعظم، فإنّ العبقري يرى الأفكار الأفلاطونية ويُفكّر بها، ويزيل الجوانب الدنيوية لخلق صورة مثالية لموضوع العالم. فالعمل الفني العظيم هو نتاج عبقرية، وقد

[1] Harries, Karsten, Schopenhauer's The World as Will and Representation FallSemester , Yale University,2014.p.186.

[2] بدوي، عبد الرحمن. خلاصة الفكر الأوروبي، شوبنهاور، بيروت، دار القلم، 1942، ص136.

[3] بدوي، عبد الرحمن. خلاصة الفكر الأوروبي، شوبنهاور، ص136.

[4] Cartwright, Schopenhauer: A biography, New York, NY: Cambridge University Press,2010.p.76.

استخدم شوبنهاور مصطلح عبقري تقريباً للإشارة إلى فنان أو فيلسوف عظيم، واعتبر الفنانين يملكون فائضاً من الذكاء مقارنة بالشخص العادي، وأن لديهم القدرة على رؤية ما لا يستطيع الآخرون رؤيته.

وبناءً على ما سبق، يبدو كما لو أن شوبنهاور يعتقد أنّ العبقرية لا تتحقّق إلا عن طريق العقل المشبع بالميتافيزيقيا، وبالتالي المفاهيم المجردة الخالصة. لذلك، لم يكن من المفاجئ أن يعلن شوبنهاور عن نفسه عبقرياً للفلسفة، وبالتالي أن يُقدّم تصوّراً خاصّاً فريداً عن العالم، وهو العالم كإرادة وتمثل.

3) العبقرية في علاقاتها بالقوى النفسيّة والإدراكيّة:

أ- الإرادة والعبقرية:

إن شأن العبقرية عند شوبنهاور إنها تشع بذاتها دائماً حتى تُلقي بشيء من الضوء على ما يحيط بها، فذلك الواقع في نطاقها لا بد أن ينال شيئاً من ضوئها [1].

ومن التصورات الشائعة الخاطئة عن شوبنهاور أنه لم يكن فيلسوفاً أصيلاً؛ بحجة أنّ فكرة الإرادة باعتبارها حقيقة الوجود، يمكن أن نلمس أصولها عند سابقيه، مثل الفيلسوف المتصوف بوهمهBohme وعند معاصريه من أمثال فيشته وشليرماخر. كما أن تقسيمه للعالم إلى عالم الظواهر وعالم الشي في ذاته هو تقسيم مستمد أساساً من كانط، وكذلك فإن مفهومه عن المثل قد استمده حرفياً من أفلاطون.

وبالتالي يرى البعض أن شوبنهاور قد ولّف بين أفكار عديدة مستمدة من مذاهب مختلفة، دون أن يبدع شيئاً أصيلاً من نفسه؛ لكن المقاربة المنصفة لفلسفة شوبنهاور، تحدونا للقول: أنّ الشق الأول من هذه العبارة صحيح أما الشق الثاني منها فيعكس سوء فهم متأصل لطالما تكرر عبر تاريخ الفلسفة[2]

فما يريد أن يقوله شوبنهاور: إنّ العالم كتمثل –أي ذلك العالم الذي يكون خاضعاً للمبدأ الذي يحكم معرفتنا–هو مجرد المظهر الذي تبدو عليه الأشياء بالنسبة لنا، أما حقيقة الأشياء فإنما تتمثل في الإرادة بذاتها. فالإرادة عنده هي الماهية الباطنية للعالم، وهي تتجلى في الطبيعة الإنسانية وفي الطبيعة العضوية واللاعضوية على السواء، وإن كانت تعبر عن نفسها بوضوح أكبر وأكثر تعقيداً كلما ارتقينا في سلم الوجود.

كما تشير وجهة نظر شوبنهاور إلى أن وعينا اليومي المملوء بالآمال لا يرى الكثير من الأشياء كما هي في الواقع، أي، لا يرى كيانها البسيط، بل يراها فقط لأنها تتعلق باحتياجاتنا ورغباتنا الخاصة، فهذا الوعي مصمم أصلاً، من أجل المساعدة، لتلبية احتياجاتنا اليومية بصورة سابقة عن أية معرفة مجرّدة، فمعظم الناس لديهم فقط ما يكفي من العقل لمساعدة أصغرهم على تلبية احتياجاته ومصالحه، ومعظم الناس تتصرّف بهذا الخصوص مثل الماشية فهم لديهم فقط ما يكفي من العقل لإرادتهم للحصول على إشباعات مرضية في عالمهم الصغير.[3]

لكنّ العباقرة وحدهم، هم الاستثناء بهذا الخصوص، لأنهم يتخلّون عن الطريقة الاعتيادية في النظر إلى الأمور، فيكف العبقري عن التفكير المجرد، ولا يدع مفاهيم العقل تستحوذ على وعيه، ولكن بدلاً من كل هذا، يُكرس كامل قوة العقل للإدراك، ويوجه وعيه كاملاً الطبيعية الموجودة بالفعل، سواء كانت منظراً طبيعيًا أو شجرة أو صخرة أو بناء أو أي شيء آخر.

[3] المصدر السابق نفسه .ص378

[2] المصدر السايق نفسه، ص28- 29.

3 Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation,p.235-237.

ننسى نحن العباقرة–كما يصف شوبنهاور–فرديتنا، إرادتنا، ونستمر في الوجود فقط كموضوع نقي، بحيث يبدو كما لو أن الكائن وحده موجوداً دون أن يدركه أحد، وبالتالي لا نعد قادرين على فصل المدرك عن الإدراك، وكأنّ الاثنين أصبحا واحداً، فالقلائل من الناس، من لديهم فائض من هذا الوعي، وعقل أكثر مما هو ضروري يسمح لهؤلاء الناس "برؤية" أكثر مما يستطيع الآخرون رؤيته.

ويرى شوبنهاور أن الإرادة تتكشف حينما ينظر الفرد إلى نفسه باعتباره فرداً تمتد جذوره في هذا العالم. أما إن رأى نفسه ذاتاً عارفة فحسب، فلن يقوده ذلك إلى شيء. ولذلك يجب أن نُدخل في حسابنا الفرد ككل، وحينئذ تتخذ الذات من نفسها موضوعاً للمعرفة بعد أن كانت تتخذ من الأشياء الأخرى موضوعاً لتلك المعرفة.

والإرادة وحدها ولا شيء غيرها، هي التي تمنح الفرد مفتاح وجوده الظاهري، وتكشف له عن دلالته، وتشرف به على القوة الداخلية التي يتألف منها وجوده وأفعاله وحركاته. والذات العارفة في هويتها مع الجسم تصبح فرداً. وهذا الجسم يتبدى للفرد في صورتين مختلفتين:

الأولى: على هيئة تمثل المعرفة الظاهرية وموضوع بين الموضوعات الأخرى خاضع لما تخضع له من قوانين.

والثانية: في صورة ذلك الذي يعرفه كل منا معرفة مباشرة، والذي نشير إليه بكلمة إرادة. وكل فعل إرادي هو في الوقت نفسه حركة من حركات الجسم. وليس معنى ذلك أن الفعل الإرادي وحركة الجسم ظاهرتان ترتبطان فيما بينهما برابطة العلية؛ ولكنهما في الواقع شيء واحد، يظهر لنا في صورتين مختلفتين: إحداهما مباشرة، والأخرى غير مباشرة.

وأخيراً فإن معرفة شوبنهاور بالإرادة رغم أنها معرفة مباشرة لا يمكن أن تنفصل عن المعرفة بالجسم. فالإرادة لا يمكن معلاقتها لا بمجملها ولا في وحدتها بشكل تام من حيث طبيعتها؛ وإنما يمكن التعرف إليها من خلال أفعالها الجزئية، ولا يمكن تخيل الإرادة بمعزل عن الجسم[1]

ب– العبقرية والخيال:

يرى شوبنهاور أن ثمة صلة بين العبقرية والخيال، فالبعض يرى في الخيال عنصراً أساسياً من عناصر العبقرية، ولكن بعضهم أراد أن يجعل العبقرية والخيال شيئاً واحداً، وهذا خطأ، لأن موضوع العبقرية هو المُثل الأبدية، أي الأشكال الدائمة لما يدور في الكون من مظاهر متبدلة.

فحيث يسود الخيال وحده لا يمكن أن نشيّد غير "قصور في اسبانيا" لإرضاء أنانيتنا ونزواتنا الشخصية العابرة وخداع أنفسنا.

ولكن حين يقترن الخيال بالعبقرية، يمتد الأفق، ويستطيع العبقري أن يتجاوز حدود تجربته الحاضرة والشخصية، ويدرك حينها، أنّ الأشياء الواقعية ليست في الحقيقة غير عينات مشوهة للمثل التي تتحقق بها. فالخيال إذن ضروري للعبقري لكي يرى الأشياء في ذاتها، وليس فقط عبر نسخها المتحققة في الطبيعة، والنتيجة هي أن قوة خارقة من الخيال تتضاعف بل تكون شرطاً للعبقرية.

باختصار، فالعلاقة بين العبقرية بالخيال علاقة مترابطة؛ فالخيال هو الأداة التي تساعد الفرد على التحرر من مبدأ الفردية، وذلك لأن الخيال حسب شوبنهاور ما هو إلاّ التحرر من الزمان والمكان والعلية، وهي الأشكال التي تؤلف مبدأ العلية، كما أن الخيال يرتبط بالحرية، وفي الحرية قضاء على الفردية.

[1] **Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation , 1966.p.235-236.**

والخيال بوصفه أحد العناصر الرئيسية للعبقرية يرتبط بالحركة من جهة وبالأبدية من جهة أخرى، أو هو بالأحرى يرتبط بالأبدية، لأنه يرتبط بالحرية، والحرية هي الهواء الذي تتنفس منه الأبدية. والخيال هو الأجنحة التي تجعل الإنسان العبقري يتسامى على الخيال الحسي، وهو الذي يمكنه من أن يرى في الأشياء الفردية ما هو عام، وهذه هي الصفة المميزة للعبقرية.

ت- العبقرية والجنون:

حاولت الكثير من الروايات والأفلام أن تُكرّس، فكرة ارتباط العبقرية بالاضطرابات السلوكية والعقلية والغرابة في التفكير، وشاعت هذه الفكرة لدى الكثيرين، لأنهم ربطوها بصور من الواقع والتاريخ، حين وجدوا عديد من النماذج، من أمثال أولئك العباقرة الذين يجلسون دوماً في الصفوف الأمامية من مقاعد الدراسة، يرتدون نظاراتهم ولا يهتمون بمظهرهم، يجلسون وحدهم في الحفلات والمناسبات العامة، فالتفاعل مع الوسط الاجتماعي ليس من الأمور التي يحبون القيام بها، لا يحسنون التصرف في جلّ المواقف الاجتماعية التي يتعرضون لها، وكأنَّ لهم قواعد خاصة في التعامل مع الناس فلا يعيرون اهتماماً لما قد يظنه البعض عنهم، لأنهم يتعاملون مع الجميع وفق ما يظنونه صحيحاً، بينما تكون تصرفاتهم في الواقع شديدة الغرابة بالنسبة لكثيرين ولا تمت للتصرف الاجتماعي السليم بصلة.

وهذا يطرح التساؤل التالي: هل يتصل العبقري بعالم آخر غير الذي نعرفه؟ هل يتواصل مع أصوات غريبة أو يرى أشياء ما ورائية لا نراها نحن الناس العاديين؟

البعض يعتقد ذلك. فقد أثبت الطبيب النفسي "لولوت Lelut "في دراسة مشهورة بعنوان "شيطان سقراط" أن الرجل كان يسمع أصواتاً تناديه من دون أن يرى أحداً. ولذا، كان يمرّ أحياناً بحالات هذيانية أو هوسية حقيقية. وكان يقول بأنه يسمع صوتاً داخلياً في نفسه، وهو الذي يمنعه من ارتكاب الأفعال السيئة، ولذلك فقد استحال عليه التراجع عما كان يعتقد أنّه الحقّ وقبل بتجرّع السمّ دفاعاً عن الحقيقة.

وهناك ميزة أخرى للعباقرة عن بقية البشر هي: الحدس بالأشياء مسبقاً، أو الإرهاص بها قبل أن تحصل. إنهم يمتلكون راداراً داخلياً كشافا للمجاهيل وغياهب الظلمات. وهي خاصية لا يتملكها إلا الأنبياء والعباقرة الكبار من أمثال "جان جاك روسو" الذي تنبأ بالثورة الفرنسية قبل أن تحصل في نص واضح تماماً ومدهش . ويرى أديب ألمانيا الأكبر "غوته" أنّ الأعمال الاستثنائية التي ينجزها العباقرة ناتجة عن شخصيات هشّة من الناحية النفسية، وهذه الهشاشة النفسية أو أحياناً الجسدية، تتيح لهم أن يحسّوا بمشاعر نادرة لا يعرفها بقية البشر، كما تتيح لهم أن يسمعوا الأصوات السماوية.

ولكنّ هذه التركيبة النفسية الهشّة للشخص العبقري يمكن أن تُعكَّر أو تُجْرح بسهولة عندما تصطدم بالعالم الخارجي، كما قد تخضع لحالة مرضية –أو اهتزازية– دائمة، ولذلك نجد أنّ غوته اعترف أكثر من مرّة بأنه مصاب نفسياً وذو ميول انتحارية قوية. ولكنه عالجها عن طريق الإبداع وجعل أبطال رواياته أو مسرحياته هم الذين ينتحرون وليس هو.[1]

وعلى الرغم من أن شوبنهاور يعد نفسه عبقرياً ويقدس الأعمال التي يعتبرها منتجة من هذا القبيل، فهو أيضاً فريد نسبياً من خلال تفسيره للعلاقة، التي يعدّها وثيقة بين العبقرية والجنون، ويشرح كارترايت أن شوبنهاور يعتقد أن العبقرية يمكن أن تؤدي إلى الجنون، مثلما هو الحال في قصة كهف أفلاطون، حيث يتعرف المرء على الضوء(التنوير) خارج

[1] **برينو، فيليب، العبقرية والجنون في الرسم والموسيقى والأدب، ترجمة صالح هاشم، منشورات بلون، ط2، باريس، 2007،ص13.**

الكهف، فيغدو غير قادراً على الإدراك في الظلام مرة أخرى، وبالتالي قد تحدث له صدمة من الممكن أن تؤدي للجنون.

يقول شوبنهاور: "مثل هذه المعرفة المؤلمة أو التأمل المروع قد يبلغ حد يجعله يصبح غير محتمل بشكل إيجابي، وبالتالي فإن الفرد سيخضع له ثم للطبيعة المزعجة، وبهذه الطريقة يستولي عليه الجنون كأداة أو وسيلة لإنقاذ الحياة. إن العقل الذي يعذب كثيراً، يملأ الفجوات بالخيالات، وبالتالي يلجأ إلى الجنون من المعاناة العقلية التي تتجاوز قوته.

كذللك يؤكد شوبنهاور، أن: "كل زيادة في الفكر تتجاوز المقياس العادي هي شذوذ يتسبب في خلل الجنون"[1] ؛ وبما أنّ ما يُميّز العبقرية، هو فائضها الفكري الذي يسمح لها بالانسحاب من الاهتمامات الدنيوية في كثير من الأحيان وبشكل أكثر استدامة من أجل إدراك الأفكار في الأشياء وفي أنماط الحياة البشرية، فإنها قد تنتهي إلى الجنون.[2]

وغالباً ما يُلاحظ أن العبقرية والجنون لهما جانب يشتركان فيه، بل ينتقلان إلى بعضهما البعض، وحتى الإلهام الشعري قد أطلق عليه نوع من الجنون. وفي مقدمة أوبرون فيلاند يتحدث عن "الجنون اللطيف". حتى أرسطو كان يقول: "لم يكن هناك عقل عظيم بدون خليط من الجنون"[3].

وللعبقرية أيضاً لوازم لا تنفصل عنها وأحوال ترتبط بها. وأولها ما لاحظه أرسطو من أن الحزن حليف للعبقرية، وما عبر عنه غوته، فقال:" لقد كانت شاعريتي تافهة طوال أن كنت أسعى إلى سعادتي، لكنها صارت جذوة حامية حين كنت أفر من تهديد الشقاء. إن الشعر الجميل كقوس قزح لا يترسم إلا فوق سطح معتم؛ لهذا كان الحزن عنصراً مناسباً كل المناسبة للعبقرية الشعرية.[4]

وتفسير هذا عند شوبنهاور أن الحزن المصاحب للعبقرية راجع إلى أنه كلما كان النور الذي يضيء العقل قوياً كان إدراك العقل لسوء حالته أوضح وأدق.

وهناك سبب آخر للحزن والشقاء، هو: أنّ العبقري في صراع دائم مع عصره لأنه لا يعيش له، وإنما يعيش للأجيال المقبلة، وهو أيضاً، طالما يحزن، لأنّه يمتلك الحساسية المفرطة التي تجعله يثور لأتفه الأسباب، فهو يرى فيها ما لا يراه غيره.

الخاتمة:

بالبناء على ما سبق يتضح: أن تصور شوبنهاور للعبقرية قد احتل مكانة مرموقة في معظم مؤلفاته ويبدو أنّه من خلال مفهومها يمكن فهم نظريته في الوجود بأسرها.

ولذلك نجد مفهوم العبقرية لديه، يعلو على كل القواعد التي تضعها الأخلاق؛ فلها أن تأخذ بها إن شاءت أو لا تأخذ بشيء منها إذا أرادت، لأن العبقرية حرة لا تحدها حدود ولا تمسك بزمامها قيود ، ومن هنا يمكن القول: إن العبقرية سمة من سمات الشخصية الفردية التي تتعالى عن ذاتيتها بمحض إرادتها، وبذلك تكون العبقرية قدرة فردية شخصية هي أعلى وأسمى ما يمكن أن يصل إليه الفرد.

---

[1] Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation.p.215

[2] المصدر السابق نفسه، ص211.

[3] Schopenhauer, Arthur, The World as Will and Representation.p.62-65.

[4] بدوي، عبد الرحمن. خلاصة الفكر الأوروبي، شوبنهاور، بيروت، دار القلم، 1942،ص134.

*** شامونى، الجبل الأبيض بلدة وبلدية في شرق فرنسا، على سفح الجبل الأبيض شاموني، الجبل الأبيض بلدة وبلدية في شرق فرنسا، على سفح الجبل الأبيض.**

فالعبقري هو صاحب العقل الفذ الذي أصبح غير مخلص لمصيره الفردي وغير مكترث به؛ ليُقدّم نفسه قرباناً للمستقبل الذي يُبصره دون غيره.

المصادر والمراجع:

المصادر باللغة العربية

1. شوبنهاور، آرثر فن الأدب: مختارات من شوبنهاور، ترجمة، شفيق مقار. القاهرة: المركز القومي للترجمة،العدد1710، 2012

المصادر باللغة الأجنبية :

1. Schopenhauer، Arthur، The World as Will and Representation، trans. E. F. J. Payne. New York، 1966.

المراجع باللغة العربية:

1. بدوي، عبد الرحمن. خلاصة الفكر الأوروبي، شوبنهاور، بيروت، دار القلم، 1942.

2. برينو، فيليب، العبقرية والجنون في الرسم والموسيقى والأدب، ترجمة صالح هاشم، منشورات بلون، ط2، باريس، 2007.

3. كامل، فؤاد. الفرد في فلسفة شوبنهاور.القاهرة،الهيئة العامة للكتاب،1991.

References:

[1] Cartwright، Schopenhauer: A biography، New York، NY: Cambridge University Press،2010.

[2] Haldane، M.A. And J. Kemp، M.A. The World As Will And Idea Containing Supplements to Part of the Second Book and to the Third and Fourth Books Sixth Edition London،2012.

[3] Harries، Karsten، Schopenhauer's The World as Will and Representation FallSemester ، Yale University،2014.

[4] Hollingdale، R،J.Cambridge University Press. Taken from The Nietzsche Channel http://www.geocities.com/thenietzschechannel/sae.htm،1984.

[5] https://en.wikipedia.org/wiki/Arthur_Schopenhauer

[6] Kant، Immanuel، Kritik der Urteilskraft : "Genius is a talent for producing something for which no determinate rule can be given، not a predisposition consisting of a skill for something that can be learned by following some rule or other"،1790.

[7] Farha, Mohammad. Objectivity from a Phenomenological Point of View: An Analytical Study, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014.

[8] Farha, Mohammad. George Santyana's Materialism, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (6) 2014.

المعاجم :

لالاند،أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت/باريس، المجلد الثالث، ط2، 2001.